

أورشليمُ ترجمُ بائعها

2017-12-12 سجعان قزي

حين يعترفُ مسيحيٌّ، ولو كان رئيسَ أميركا، بيهوديَّةِ أورشليمِ ويُعلنها عاصمةَ إسرائيل، تَسْقَطُ مسيحيَّتهُ عنه. هذا ليس موقفاً سياسياً عقائدياً بل دينياً لاهوتياً. دونالد ترامب خان يسوع المسيح. انتَهك مَسْقَطَ رأسِ المسيحيَّة. نَزَعَ عنها هويَّتها المسيحيَّة. إِزْدَرَى صَلْبَ يسوعَ وعذاباته على دربِ الجُلجلة. أهملَ مركزيَّةَ أورشليمِ في الأناجيلِ الأربعة، وهو ينتمي إلى الكنيسةِ الإنجيليَّةِ الكُلْفانيَّةِ المتماهيَّةِ مع اللوبي الصَّهيونيِّ في الولاياتِ المتَّحدةِ الأميركيَّةِ. فوَقَّ استطلاعِ أجرتهِ جامعةُ "ميريلاند" ومؤسسةُ "بروكينغز" بين 02 و06 تشرين الثاني الماضي، 53% من الإنجيليين (ركيزةُ ترامب الانتخابيَّة) أيَّدوا مشروعَ نقلِ السفارةِ الأميركيَّةِ إلى أورشليم، و63% من عمومِ الشعبِ الأميركيِّ رفضوه.

لقد حَوَّلَ السَّيِّدُ ترامبِ عِقاراً سَمَويّاً إلى عِقارٍ جُغرافيٍّ، ثمَّ نَقَلَ ملكيَّتهُ، من دونِ أَنْ يكونَ مالِكُهُ أو حاملَ وكالةٍ فيه، إلى طرفٍ آخَرَ لا يَحِقُّ له به وحدَه. فقرارُه إِذَنْ مُلغى وباطلٌ non et nul الأمم عن رُصدتةِ الدوليِّ الاعترافاتِ لِأَنَّ الدوليِّ القانونِ صعيد على مفعول له وليس، avenu، المتَّحدةِ دونَ سواها.

ربَّما اتَّخَذَ ترامبِ هذا الموقِفَ المَسيءَ للمسيحيِّين والمسلمين والفلسطينيين بنيةً تعويمِ وضعهِ الداخليِّ وتعويضِ فشلِ السياسةِ الأميركيَّةِ في العراقِ وكُردستانِ وسوريا واليمن ولبنان، لكن الغرابة، أَنَّ هذا القرارَ يَتناقضُ بل يَنقُضُ أهدافَ السياسةِ الأميركيَّةِ في الشرقِ الأوسطِ القائمةِ على محاربةِ الإرهاب، إضعافِ إيرانِ وحلفائها، استقرارِ الأنظمةِ الصديقة، وإحياءِ المفاوضاتِ السلميَّةِ بين إسرائيلِ والفلسطينيين. هذا التناقضُ يَدُلُّ على ارتفاعِ نسبةِ تخبُّطِ إدارةِ ترامبِ كونُ مستشاريه لشؤونِ الشرقِ الأوسطِ هم يهودٌ أو هُواةٌ أو الاثنان معاً. فالاستطلاعُ أعلاه كشفَ أيضاً أَنَّ 81% من الأميركيِّين يريدون من ترامبِ تغييرَ مستشاريه.

هذه المعطياتُ تَضَعُنَا أمامَ ذهولٍ وخشيَّة. الذهولُ أَنْ يَسْمَحَ رئيسُ أكبرِ دولةٍ في العصرِ الحديثِ

لنفسه بالتضحية بأعظم مدينة في العالم عبر كل العصور على أمل تحسين شعبيته. والخشية أن يؤدي قرار ترامب إلى جولة عنف جديدة في المنطقة لقلب موازين القوى بعدما سجل المحور الروسي — الإيراني تقدماً بارزاً من باب المندب إلى باب فاطمة.

أليس الرئيس ترامب نفسه من أعلن في أول حزيران الماضي: "إن نقل السفارة إلى أورشليم سيفتح المجال أمام أعداء السلام باستغلال اعتراف الولايات المتحدة الرسمي بأورشليم، للتحريض على العنف وتعطيل جهود السلام الأميركية؟"

منذ اعتراف الفلسطينيين والعرب بإسرائيل في اتفاقات "كلمب دايفيد" و"وادي عربة" و"أوسلو" وغيرها، لم تعد فلسطين الوطن جوهر الصراع، بل فلسطين الحدود. صارت أورشليم القلب والهوية. من دون هذه المدينة تفقد فلسطين بعدها الحضاري والديني والتاريخي المشترك. هناك مدن وقرى فلسطينية تعني اليهود وحدهم، وأخرى تعني المسيحيين وحدهم، وأخرى تعني المسلمين وحدهم. أما أورشليم، فوحدها تعني الجميع. هي أرض الموعد المتجدد بين الله والإنسان، وليست أرض ميعاد الشعب اليهودي. هذه خرافة يهودية دحضها التاريخ وكشفت زيفها الكتابات التي وجدت في "تل العمارنه" في مصر بين سنتي 1714 و1914.

قرار ترامب على قبحه، فتح ملف أورشليم فيما كان العالم يتهرّب من إثارته. وتبين أن غالبية دول العالم لا تعترف ولا تريد أن تعترف بأورشليم عاصمة لإسرائيل، وأن العالم هو مع أورشليم ضد إسرائيل، ولو لم يكن بالضرورة مع العرب والفلسطينيين. ليس بالقليل أن تجمع دول الاتحاد الأوروبي وأميركا اللاتينية، والأمم المتحدة ومجلس الأمن والفاتيكان، بما ومن يمثل، على رفض قرار ترامب. إنه انتصار مسيحي وإسلامي وعالمي يجب أن نستثمره لكسب تأييد العالم وإيجاد حل سلمي عادل بدل المزايدات هنا وهناك، وعوض التظاهر الغوغائي والمشبوه أمس في منطقة عوكر.

لقد كشف إعلان ترامب أن دولاً تفضل أورشليم مدينة مفتوحة للديانات الثلاث، وأخرى تقترح تقسيمها بين فلسطين وإسرائيل، ولا أحد يريد لها عربية أو إسرائيلية بشقيها. لكن التقسيم لا يلغي مطالبة اليهود بحكم الجانب الشرقي من أورشليم حيث معالم هياكلهم القديمة، ولا مطالبة

المسيحيين بإدارة مقدساتهم في غربيها أيضاً. لذا، مهما كان الحل الجغرافي والدستوري، يجب أن تبقى المراكز الدينية اليهودية والمسيحية والإسلامية محمية دولياً ومُعترفاً بمرجعياتها في شرقي المدينة كما في غربها. وبالمناسبة، يعيش في أورشليم 900 ألف مواطن. منهم 320 ألف فلسطيني في أورشليم الشرقية، و542 ألف يهودي بين أورشليم الغربية (330 ألفاً) وأورشليم الشرقية (212 ألفاً).

بمنأى عن الأعداد، قرار ترامب لا يمس الشأن السياسي بل حقوق الأديان الثلاثة، اليهودية والمسيحية والإسلام، وهو أمر لم يحسمه أحد بعد. وأصلاً ليست أورشليم جزءاً من الصراع بين العرب وإسرائيل، بل بين الرسل والأنبياء. إنها واحدة إلهية يفترض أن يعيش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون متساوين بالحقوق الدينية والمدنية استناداً إلى المعطيات التاريخية الصحيحة لا إلى المزاعم والروايات والخرافات. وفي هذا السياق، لا يجوز لأي طرف أن يحتكر أورشليم، فمدينة بهذا التاريخ الروحي المتعدد أكبر من أن تُصدرها هذه القومية أو تلك. وفي هذا السياق، نُذكر بهوية أورشليم المسيحية؟ هل راحت فرق عملة بين الفاتح "أبي عبدة الجراح" والمغتصب بن غوريون؟

سنة 1972، قال بيار الجميل لياسر عرفات إبان اجتماع في بيت الكتائب المركزي: "إذا كان جيلك يا أبو عمار" عاجزاً عن تحرير فلسطين اليوم، فلا تقبل بسلام ناقص وأترك مهمة التحرير للأجيال المقبلة. فلسطين ليست كيلومتراً بالزائد أو بالناقص. إنها وطن". وأورشليم ليست شرقاً وغرباً، هي فوق.

* سجعان قزي-وزير العمل السابقة-جريدة الجمهورية

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية